في كل ليلة حكاية

٩

أنت رفيقي في الجنة

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

قَرأتْ (سُعادُ) في كِتَابٍ من مَكْتَبةِ صَدِيقتِهَا (مَريمَ) هَذِهِ الحَادِثةَ فَأَعْجَبَتْهَا... ثُمَّ نَقلَتها إلى دَفتَزِ مُذكَّراتِهَا.

وفي المَساءِ... وَقدِ اجتمعَ أَفرادُ عَائِلَةِ (أُمِّ أَحمد) وأختها (أمّ سعيد).. فتَحَتِ الدَّفترَ وَراحَتْ تَقرأُ مَا يَلي:

من أَحداثِ السَّنةِ (٣٦) السَّادسة والثَّلاثينَ من الهِجرَةِ النّبويَّةِ المُبارَكَةِ ، وهُناكَ في مَدِيْنَةِ المَدائِنِ ، مَرِضَ الصَّحابيُّ الجليلُ (حُذيفةُ بن اليَمان) مَرضاً شَديداً ، فدَخلَ أصحابُهُ عَليهِ.

وَسَأَلَهُ واحدٌ مِنْهُمْ: ما تَشْتَهِيْ؟

قَالَ: أَشْتَهِيْ الجَنَّةَ.

قَالُوا: فما تَشْتَكي ؟

قَالَ: الذُّنُوب.

قَالُوا: أَفلا نَدْعُو لكَ الطَّبيبَ؟

قَالَ: الطَّبِيْبُ أَمْرَضَنِي!!

وَتَابَعَتْ (سُعَاد) قِراءَةَ مَا حَدثَ معَ (حُذَيْفَةَ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ولمّا اشتدَّتْ سَكَراتُ المَوتِ عَليهِ ، رَفعَ بَصرَهُ نَحو الأَعلىٰ وقالَ:

مَرْحَباً بِالمَوْتِ وَأَهْلاً ، مَرحَباً بِحبيبٍ جَاءَ عَلى فَاقَةٍ ، لا أَفلحَ مَنْ نَدِمَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أُحبَّ الدُّنيا لِحَفْرِ الآبارِ ، ولا لِغَرسِ الأَشجارِ ، وَلكِنْ لسَهرِ اللَّيْلِ ، وظَمأِ الهَواجرِ ، وَكَثرةِ الرُّكوعِ والسُّجُودِ ، والذِّكر للهِ عزَّ وجلَّ كثيراً ، والجِهَادِ فِي سَبيلِهِ ، ومُزاحَمةِ العُلَماءِ بالرُّكَبِ..

قالَتْ (أُمُّ أَحمد) وَهيَ تَبكِي: آه مَا أَحلى الحَديثَ عَنْ أُولئِكُم الكَوكَبة ، الذينَ ربَّاهُمْ رَسولُ اللهِ ﷺ على يديهِ ، فكَانوا فرسانَ اللَّيلِ والنَّهارِ ، يُقاتِلونَ العدوَّ حتَّى النِّهايَة ، وإذا عَادُوا إلى بيوتِهم ومَساجدِهِم كانُوا رُهبَاناً باللَّيْلِ ، ولِذلكَ بَاعُوا كلّ ما يَمْلِكُونَ ، ليشْتَروا بذلكَ كلّه جنَّةَ الله ورضَاه ، كَما قَالَ تَعالى:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

[التوبة: ١١١].

وَتابعتْ (سُعاد) قَولَها ، وهيَ تَقرأُ من دَفترِ مُذكَّراتِهَا:

ثُم التفتَ (حُذيفةُ) رَضِيَ اللهُ عَنهُ إلى مَنْ حَوْلَه وَقالَ: اشْتَروا لِي ثَوبَيْن أَبيضَينِ ، فإنَّهُما لن يُتركَا عَليَّ إلاّ قَليلاً ، حتَّى أُبدّل بِهِمَا خَيراً منهُمَا ، أَوْ أُسلبهمَا سَلباً قَبيحاً!!

ثُمَّ قالَ رَضيَ اللهُ عَنهُ: هَذِهِ آخِرُ سَاعةٍ من الدُّنيا ، اللَّهُمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحبُّكَ ، فَبَارِكْ لِي فِي لِقائِكَ..

ثُمَّ فَاضَتْ رُوحُهُ الطَّاهِرةُ إلى بَارِئهَا ، لِيَكُونَ فِي الجَنَّةِ معَ النَّبيينَ والشُّهَداءِ والصِّدِّيقينَ وَحَسُنَ أولئكَ رَفِيقاً..

ثُمَّ سَكَتتْ (سُعاد).. وسادَ الجَوَّ صَمتٌ طَالَتْ مُدَّتهُ... بَيْنَمَا كَانَتْ (أُمُّ سعيد) وَأُختُها (أمّ أَحْمد) تَبْكِيانِ.. حتَّى إنَّ (ابتهَال) سَألتْ أمَّها: ما لَكِ يا أُمِّي.. لِماذا البُكَاءُ وَقدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الصَّحابةِ

الأَماجِدِ.. وَوُعِدوا الجنَّةَ فهل نَبكِي عَلَيْهِم ، أَمْ نَفْرَح لانتِمائِنَا لَهُمْ؟!

أَجَلْ يا بُنيَّتي ـ قالَتْ (أُمُّ أَحمد) ـ: هَذهِ طَبِيعةُ الإنسَان ، فهوَ يَبْكِي بُكاءَ الفَرَحِ.. وبالتّالِي هَنِيئاً لَهم... ونسأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا خَيْرَ خَلَفٍ لِخَيْرِ سَلَفٍ.

إِلى الدِّينِ الحَنيفِ

إذاً حِكَايَةُ هَذهِ اللَّيلةِ ـ قال سَامي) ـ عن الفَارِسِ البَطَلِ: حُذيفةَ بن اليَمانِ رَضيَ اللهُ عَنْهُ.. أَليسَ كَذلكَ يا خَالَتِي؟

قالَتْ (أُمُّ أَحْمَد): أَحسنتَ يا سَامِي ، وبَارَكَ اللهُ بِكَ.. فَأُخْتُكَ (سُعَاد) ذَكَّرتنا بِمَشهَدِ المَوْتِ.. وذلكَ عِند حُضُورِ حُذيفةَ المَوت.. فلا بدَّ أَنْ نَحكِي بَعضَ حِكَاياتٍ جَرَتْ فِي حَيَاتِهِ رَضيَ اللهُ عَنْهُ...

وتَهيّأَ الجمعُ لِسَمَاعِ الحِكَايَةِ.. بينَما رَاحَتْ (أُمُّ أَحمد) تَتَذكَّرُ قائِلَةً:

أَعْلَنَ حُذَيْفَةُ إِسلامَهُ في مكَّةَ المكرَّمةِ ، ثُمَّ أَمرَهُ رسولُ الله ﷺ أَنْ يعودَ إلى المَدينَةِ المُنوَّرةِ لتَبليغِ الدَّعْوةِ..

ولمَّا وَصَلَ خَبَرُ قُدومِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى المَدِيْنَةِ المُنَوَّرةِ.... رَاحَ (حُذَيفةُ) يَنتظرُ فَرحاً بذلكَ ، وَكانَ ما كَان!!

ثُمَّ آخَى رَسولُ اللهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَينَ عَمَّارِ بن يَاسِر رَضيَ اللهُ عَنْهُما.

ولمَّا كانَتْ غَزْوَةُ (أُحُد) اشتَرَكَ مَعَ أَبيهِ (اليَمانِ) وَقاتَلا قِتالَ الأَبطالِ الشُّجْعانِ، لكنَّ جَماعةً من الشَّبابِ انقَضُّوا على والِدِه ورَاحُوا يَضْرِبُونَهُ.. وهم لا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ مِنَ الجيشِ الإسلاميِّ!!

وَلمَّا رآهُ (حُذيفةُ) صَاحَ: وَيْلَكُم ، إِنَّهُ أَبِي ، إِنَّ أبي اليَمَان..

ولكنَّ اليَمانَ سَقَطَ شَهِيداً ، فَما كَانَ مِنْ (حُذيفَة) إلاّ أَنْ قَالَ كَمَا قَالَ نَبيُّ اللهِ يُوسُفُ عليهِ السَّلامُ لإِخْوتِهِ الذينَ أَرادُوا قَتْلَهُ:

﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢].

وَفِيْ نِهَايَةِ المَعركةِ أَمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُعْطَى (حُذَيْفَةُ) دِيَةَ والِدِهِ.

فَأَخَذَها... ثُمَّ تَصدَّقَ بِها على فُقراءِ المُسْلِمينَ...

«وَمَنْ يَكُونُ رَفيقي في الجَنَّة»

وَفي السَّنة الخَامِسَةِ مِنَ الهِجْرَةِ المُبارَكَةِ

حَدثَتْ واقعةٌ رَفعتْ أَسْهُمَ (حُذيفةَ بن اليَمانِ) إلى العُلى ، وَإليكُمْ مَا ذَكَرَهُ كُتَّاب التَّاريخِ والسِّيرِ:

خَرَجَتْ قُريشٌ وغَطَفَانُ وَغيرُهُما من قبائِل مَكَّةَ.. وأَخْرَجُوا مَعَهم غِلْمانَهُمْ .. ليصلَ عَدَدُهم إلى قُرابةِ عَشرةِ آلافِ شَخْصٍ.. تحتَ إمرَةِ أَبي سُفْيَان بن حَربٍ.. يُريدونَ القَضاءَ على الإسْلامِ في المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ!!

وَوَصَلَ الخَبَرُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فاسْتَشَارَ أَصحَابَهُ ، فاتَّفَقُوا على رَأيِ (سَلْمَانَ الفَارِسِيّ) رَضيَ اللهُ عَنْهُ وهوَ حَفْرُ خَندقٍ حَوْلَ المَدِينةِ المنوَّرةِ...

واشتَدَّ الأَمْرُ أَكثَرَ حيثُ أَبطأَ المُنافِقُونَ بِالعَمَلِ ، ونَقَضَ اليَهُودُ ـ خاصَّةً بَنُو قُرَيظَةَ ـ العُهودَ!!

واشتدَّ الحِصَارُ على المُسْلِمينَ ، وضَاقَ الأَمْرُ

أَكْثَرَ حتَّى شُغِلَ المُسْلِمُونَ عن بَعضِ الصَّلواتِ.

ورَاحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يدعُو الله ويَلتَجِئُ إليهِ ، وكانَ مِنْ دُعائِهِ صَلواتُ اللهِ عَليهِ:

«اللَّهُمَّ مُنَزِلَ الكِتابِ ، سَرِيعَ الحِسَاب ، اهْزِمِ الأَحْزَابَ ، اللَّهُمَّ اهزِمْهُمْ وَزَلزِلهُمْ».

وَفِي لَيلةٍ مُظْلِمَةٍ... والوَضْعُ على ما هُوَ عليهِ من خَوفٍ و..

جَمعَ رَسولُ اللهِ ﷺ الصَّحَابَةَ وقالَ لَهُمْ: «أَلا رجلٌ يَأتِيني بِخَبَرِ القَومِ جعَلَهُ اللهُ مَعي يَوْمَ القِيامَةِ؟».

فَسَكَتَ الصَّحابَةُ ولم يُجيبُوا أَبداً!!

ثُمّ أَعادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السُّؤالَ: «أَلا رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ ما فَعَلَ القَوْمُ ، جَعلهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ القِيَامَةِ».

فَسَكَتَ الصَّحَابَةُ مرَّةً أُخرى.. فالبَرْدُ شَديدٌ والعدوُّ مِنْ كلِّ مكانٍ... والمُسلمونَ مُحَاصَرُونَ فمَنْ يَستطِيعُ الخُروجَ إلى المُشرِكِينَ؟!

وفِي المَرَّةِ الثَّالِثَةِ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ رَجلٌ يَقُومُ فيَنْظُرُ ما فعلَ القَوْمُ ، ثُمَّ يَرجِعُ ، أَسأَلُ اللهُ أَنْ يكون رَفيقِي فِي الجَنَّةِ؟».

فَسَكَتُوا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يا حُذَيْفَةُ! اذْهَبْ فَادخُلْ فِي القَوْمِ فانظُرْ مَاذا يَفْعَلُونَ ، ولا تُحدثَنَّ شيئاً حتَّى تأتينَا».

قَالَ (حُذَيفةُ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَقُمْتُ وَأَنا مُوقِنٌ بِأَنِّي سَأُقْتَلُ.. فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ وَهوَ يرْفَعُ كفَّيْهِ: «اللَّهُمَّ احفَظهُ من بينِ يَديهِ ومن خَلفهِ ، وعن يَمينِه ، وَعن شِمَالِهِ ، ومن فَوقِهِ وَمن تَحتِهِ».

قالَ: فَذَهَبْتُ ودَخَلْتُ فِيهم ، والرِّيحُ وجُنودُ الله تَفعلُ بِهِمْ ما تَفعَلُ...

فَقالَ زَعِيْمُهمْ أَبُو سُفيانِ: لِيَنْظُر امْرُؤٌ من جَليسُه ، فأَخذتُ بِيدِ الرَّجلِ الذي كَانَ جَنبِي ، فقلتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قالَ: أَنا مُعاوِيةُ بنُ أبي سُفيَان.

ثُمَّ أَخذتُ بِيدِ الذي عَنْ شِمالِي ، فقلتُ: مَنْ أَنْتَ؟

قَالَ: عَمرو بن العَاصِ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفيان: يَا مَعْشَرَ قُرَيشٍ ، إِنَّكُمْ واللهِ ما أَصبحتُم بِدارِ مَقامٍ ، ولقدْ هلكَ الخُفّ والكُراع ـ أي: هَلكَ الفَرسُ والغَنمُ والبَقرُ ـ.

اختلَفنَا وبَنُو قُرَيظَةَ ، ولَقِينا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ ما تَروْنَ ، مَا يطمئنُّ لنا قِدْرٌ ، ولا تقومُ لَنا نَارٌ ، ولا يَستَمْسِكُ لنَا بِنَاءٌ ، فارتَحِلوا فإِنِّي مُرْتَحِلٌ..

قَالَ حُذيفةَ: فانطلقتُ مُسْرِعاً إلى رسولِ الله ، فلمّا رَآني قال ـ ووجْهُهُ الشَّريفُ يَتهلَّلُ ـ: «لَنْ تَغْزُوكُمْ قُريشٌ بَعدَ عامِكُمْ هذا ولكنَّكُمْ تَغزُوهُم».

وصدَقَ اللهُ تعالى بِقَوْلِهِ:

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

صاحِبُ سِرِّ رَسولِ الله!!

تَابعتْ (أُمُّ أَحمد) الحِكَايَةَ الرَّائعةَ قَائِلةً:

وهَكَذا شاركَ (حُذيفةُ) فِي كُلِّ الغَزواتِ ، ثُمَّ شَاركَ في الفُتوحَاتِ الإسلاميَّةِ في زمَن أبي بَكرٍ وعُمَر وَعُثمان رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجمَعين..

بَل تَذكُرُ كُتبُ الأحادِيثِ وَكُتُبُ السِّيَرِ وَالتَّاريخِ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ اختارَهُ مِنْ بينِ

الصَّحابَةِ الكِرَامِ لِيَكُونَ صاحِبَ سِرِّهِ فِي المُنافِقِينَ!!

حتَّى إنَّ الفَارُوقَ عُمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ يَسألهُ عَنْهُمْ... وكانَ ينظرُ إلى حُذيفةَ عندَ مَوتِ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ ، فإنْ لم يَشْهَدْ حُذيفةُ جَنازَتهُ ، لم يَشهدهَا عُمَر رَضيَ اللهُ عَنْهُ.

وَهذِهِ مَنزلةٌ عَظيمةٌ ناتِجةٌ عَنْ إخلاصِهِ وَوَرَعِهِ واصْطِفَائِهِ.. لِذلكَ كانَ فَارِساً شُجاعاً ، وكَانَ حَكِيماً مُقرَّباً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

لَقدْ سُئلَ ذاتَ يومٍ: أيّ الفِتَنِ أَشدّ؟

قالَ: أَنْ يُعْرَضَ عليكَ الخيرُ وَالشَّرُّ ، فلا تَدري أيّهما تَركَب.

فَرَحِمَ اللهُ صَاحِبَ سِرّ رَسولِ اللهِ.. ورَضِيَ اللهُ عَنْهُ.. وحَشرنَا في زُمْرَتِهِ آمين..

وَتُرتِّلُ (سُعاد) قَوله تعالى وَالدُّموعُ تذرفُ مِنْ عَينيها:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وإلى حِكَايَةٍ في لَيْلَةٍ قادِمَةٍ إِنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

وَآخرُ دَعوانَا أَنِ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِين